اللغة الفرنسية والمصادر الأجنبية في أدب محمد ديب

د. عالية زروقي

a.zerrouki@univ-chlef.dz

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف –الجزائر

الملخّص:

نعرض في هذا البحث المعنون **اللغة الفرنسية والمصادر الأجنبية في أدب محمد ديب** نبذة عن حياة الكاتب، بتتبع أهم المحطات التاريخية الحاسمة في توجيه مساره الأدبي، لما لها من أهمية في تتبع التأثيرات الأجنبية وانعكاساتها على كتاباته، وكما هو معلوم أن لغة الكاتب كانت فرنسية في جلّ أعماله مما حذا بنا إلى توضيح دوافع كتابته بهذه اللغة، ومن ثمّة توضيح أهم المصادر الأجنبية في كتاباته الأدبية أي بمن تأثّر محمّد ديب من الأدباء الغربيين العالميين، وذلك سعيا منا إلى فتح مجال البحث للدارسين المقارنين لتوضيح تلك التأثيرات فعليا على مستوى بعض النصوص الأدبية.

الكلمات المفتاحية: محمد ديب، اللغة الفرنسة، المصادر الأجنبية، التأثر والتأثير

Summary :

In this study, " French and foreign sources in the literature of Mohammed Dib " offer biography of Mohammed Dib, keep track of the most critical historical stations in guiding literary trajectory, to explain the foreign influences and their impact on his writings, and as is well known that the language of the writer was French in most of the literature, we seek to clarify the motives of his writing in that language, and to clarify the most important sources of foreign literature in his writings. Mohammed Dib who influenced Western literary world, in an effort to open the field of research for comparing to clarify the actual effects on the level of some literary texts.

key words:Mohammed Dib, language, French, foreign sources, vulnerability and impact

مقدّمـــــة:

يعدّ سجل **محمد ديب** الأدبي حافلا بجملة من الأعمال الأدبية، التي خلّدت اسمه في الموسوعة الثقافية والأدبية العالمية؛ من خلال مشوار أدبي طويل، نيّف عن أربعين سنة من الإبداع متردّدا فيه على العديد من الأجناس الأدبية؛ من رواية وقصة وشعر ومسرح وإن كانت متفاوتة فيما بينها، حيث كانت الرواية أوفرها حظا، إذ اعتبرها متنفّسا وصرحا رحبا لمناقشة العديد من القضايا، والمشاكل المؤرقة على المستوى الوطني والإنساني. وفي هذه الدراسة المعنونة **بالمؤثرات الأجنبية في كتابات محمد ديب** نعرض نبذة عن حياته بتتبع أهم المحطات التاريخية الحاسمة في توجيه مساره الأدبي، لما لها من أهمية في تتبع التأثيرات الأجنبية وانعكاساتها على كتاباته، وكما هو معلوم أن لغة الكاتب كانت فرنسية في جلّ أعماله مما حذا بنا إلى توضيح دوافع كتابته بهذه اللغة، ومن ثمّة توضيح أهم **المصادر الأجنبية**

في كتاباته الأدبية أي بمن تأثّر محمّد ديب من الأدباء الغربيين العالميين، وذلك سعيا منا إلى فتح مجال البحث للدارسين المقارنين لتوضيح تلك التأثيرات فعليا على مستوى بعض النصوص الأدبية.

1. نبذة عن حياة محمد ديب:

وُلد **محمد ديب** بمدينة تلمسان في 21 جويلية 1920، انحدر من ((أسرة بورجوازية حرفية، اشتغل أبوه في التجارة وصناعة الزرابي))[1]، ومن ناحية تعلّمه ((لم يتردّد على المدرسة القرآنية لحفظ القرآن الكريم، ولكنه بدأ دراسته بمسقط رأسه، وتابعها في مدينة **وجدة** بالمغرب الأقصى، فأتقن اللغتين؛ الفرنسية التي تعلّمها في المدارس الفرنسية، والعربية الدارجة))[2]، وقد ورث **محمد ديب** عن والده مهنة النسيج، و تداول على عدة مهن، إذ اشتغل محاسبا ومعلما في المرحلة الابتدائية، حيث ((عُيّن سنة 1939 مدّرسا في قرية صغيرة جدا، تقع على الحدود الجزائرية المغربية، تدعى "زوجْ البْغَلْ"، كان يدرِّس حوالي عشرين طفلا أغلبهم من أبناء الرّحل))[3]، اشتغل بعدها موظفا في السكة الحديدية الجزائرية بمدينة **وُجدة**، ثم مترجما لدى الحلفاء، من وإلى الفرنسية والانجليزية، وبعودته إلى تلمسان اشتغل مصمما للزرابي التي كان يشرف على صناعتها.

بدأ **محمد ديب** في نشر نصوصه في المجلات والصّحف الناشطة منذ سنة 1946 ومن بين تلك المجلات مجلة "**Forge**" التي نشر فيها سنة 1947 قصيدته **Véga** ، وفي سنة 1948، استُدعي للّقاءات المنظمة في سيدي مدني قرب مدينة البليدة[4]، حيث جمعت تلك اللقاءات بين الأدباء الفرنسيين والجزائريين، وهناك تعرّف **ديب** على عدد من الأدباء أمثال: ((**جون كايرول** Jean Cayrol ، **ألبير كامي** Albert camus، **بريس بران** Brice Parin، و**جون سيناك** Jean Sénac))[5]. حيث شكل رفقتهم ما يعرف **بمدرسة الجزائر**[6]، والتي كانت تضم عددا من الأدباء الجزائريين أيضا، من أمثال **كاتب ياسين، مالك حداد، مصطفى الأشرف** و**محمد الشريف ساحلي**، حيث كانوا يحرّرون وينشرون مقالات وإبداعات في العديد من الصحف والمجلات ، وكانت كتاباتهم لا تختلف عن تلك التي يقدمها المستوطنون الفرنسيون، لاسيما من حيث الشكل الفني[7]، وقد سمحت هذه التجربة **لمحمد ديب** بأن يزور فرنسا لأول مرّة رفقة وفد الأدباء الجزائريين.

في سنة 1949 انضمّ **ديب** إلى نقابة الفلاحين الجزائريين، وسافر في مهمة إلى فرنسا للدفاع عن حقوق عمال الأرض الجزائريين، وفي الفترة الممتدة ما بين 1950 و 1962 اشتغل محمد ديب صحفيا في جريدة "الجزائر الجمهورية"**Alger républicain** ، رفقة **كاتب ياسين**، حيث أنجزا تحقيقات صحفية وأبدعا نصوصا شعرية، كما تتبّعا أخبار المسرح الناطق بالعربية، وكتب **محمد ديب** أيضا في صحيفة "الحرية **liberté** "[8] الناطق الرسمي باسم **الحزب الشيوعي**[9]. تزوج محمد ديب سنة 1951[10] **بكوليت بيليسان** Colette Belissant التي أنجبت له أربعة أولاد.

تخلى **محمد ديب** عن العمل في صحيفة الجزائر الجمهورية لظروف العمل القاسية وعدم التمكّن من تحقيق طموحاته على مستواها ليتفرّغ للكتابات الأدبية، وكذا لتغيّر المساعي التي كان يهدف تحقيقها على مستوى هذه الصحيفة ذات التوجه الشيوعي، حيث اكتشف أنّ الحزب الشيوعي ((لم يكن ثوريا صادقا، وأنّ مثالية بعض أعضائه

من المستوطنين مظهرية فقط؛ فتحول عن نشاطه في الحزب وراح يمارسه في الأدب –بصورة فردية– (...) بعد أن غيرّ أسلوب العمل ووسيلة الكفاح))[11]. ونظرا لمواقفه المعادية للسلطة الفرنسية في الجزائر، تم نفيه سنة 1951، أقام في مدينة **موجان** Mougins الواقعة في منطقة "الألب ماريتيم les alpes maritimes" عند أهل زوجته[12] ومن هناك بدأ رحلاته إلى أوربا الشرقية، حيث جال وصال في بلدانها، زار **ألمانيا الشرقية** و**بولونيا** و**تشيكوسلوفاكيا**، استقرّ سنة 1964 بباريس في مدينة "**مودون** Meudon- la- forêt "، ثم استقرّ بسال سان كلو[13]، إحدى ضواحي **باريس**، غير البعيدة عن فرساي Versailles.

وفي السبعينات من القرن الماضي ((أقام **محمد ديب** ب**الولايات المتحدة** من أجل إلقاء محاضرات في جامعة **كاليفورنيا**، وفي عام 1975 سافر إلى **فنلندا** لحضور مناقشة أدبية))[14]، وبقي حتى سنة 1980 بين رحلاته إلى فنلندا وأمريكا حيث كانت نشاطاته الأدبية ومساهماته واسعة من خلال حضوره للقاءات أدبية، ونشره لمقالات وإلقاء محاضرات جامعية. وفي سنة 1982 حتى 1984 أصبح أستاذا مشاركا في المركز الدولي للدراسات الفرانكفونية[15] بجامعة **السوربون** في باريس.

أصيب **محمد ديب** سنة 1984بمرض عضال، أودى بحياته في الثاني من شهر ماي سنة 2003 ودفن بفرنسا وقد ذكرت زوجته أنه مات على الإسلام ودفن بمقبرة في **سال سان كلو** في مربع خاص بالمسلمين كما أوصى بذلك رحل الرجل العظيم تاركا اسمه ومكانته الخالدة في الموسوعة السوفيتية الكبيرة سنة 1970، وفي in the 20° Century L'Encyclopédie of world literature (موسوعة الآداب العالمية في القرن العشرين) كما كان اسمه حاضرا في العديد من إصدارات لاروس Larousse منذ 1979 [16]، ومختلف القواميس منذ 1965.

2. اللغة الفرنسية في كتابات محمد ديب:

يعدّ محمد ديب واحدا من الأدباء الجزائريين الفرانكوفونيين[17] الذين أتقنوا اللغة الفرنسية، واتخذوا منها وسيلة للإبداع والتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم القومية والخاصة، إذ تعتبر الأداة التي فرضها الاحتلال الفرنسي أثناء تواجده بالجزائر، حيث كانت اللغة الفرنسية معتمدة في المدارس وفي الإدارات العمومية، ووسيلة تواصل بين الأدباء الجزائريين ونظرائهم الفرنسيين[18]، ومع السلطة الفرنسية الاستعمارية عامة.

كانت اللغة الفرنسية وسيلة محمد ديب الوحيدة في التّعبير؛ إذ يقول: ((لقد صقلت على هذه اللغة فقط، التي أكتب وأتكلم بها طبيعيا، الفرنسية، نشأت في رحاب هذه اللغة))[19] وهذه اللغة هي خياره الوحيد، لقوله: ((لم يكن لي الخيار في كلّ ما حدث(...) الحقيقة الوحيدة والإمكانية الوحيدة في تلك الفترة كانت الكتابة أو الصمت))[20] وما دامت اللغة الفرنسية فقط ما يتقن، كان اختياره للكتابة بالفرنسية أمرا لا مناص منه بحكم تعلّمه الفرنسي دون العربي، إذ لم يتردّد على المدارس القرآنية ولم يحتك بغيره من ذوي الثقافة العربية الفصحى.

لقد سئل **محمد ديب** مرة، ولماذا تكتب أصلا بلغة العدو المحتل في تلك الفترة؟ فكان جوابه بأن ((كتاباته بالفرنسية كانت موجهّة للجزائريين وللفرنسيين، من أجل إثبات أن المجتمع الجزائري جزء من الإنسانية عامة، له

مشاكل مشتركة وأحاسيس متماثلة، وأن ما يختلف فيه مع باقي البشرية يعدّ من قبيل الاختلافات والمفارقات الثانوية))[21]. على أنّ تلك المساعي لا يمكن تبليغها إلاّ من خلال الكتابة باللغة التي يفهمها الآخر، وهي اللغة الفرنسية دون العربية، ولإيصال قضية وطنه من جهة أخرى إلى العالمية. إذ يقول عن كتابته باللغة الفرنسية ، أنها كانت قبل كل شيء تحدٍّ[22] تحدٍّ للفرنسيين بقدرة الجزائريين على التّعبير بلُغتهم واستخدامها كسلاح ضدّهم، وذلك من خلال كشف وتحديد الوقائع تاريخيا، بما تحمله أعماله الأدبية من تصوير لواقع الشعب الجزائري ومعاناته جرّاء المعاملة المشينة من طرف المحتل الفرنسي.

كانت اللغة الفرنسية وسيلة لرصد مأساة الجزائر – حسب محمد ديب- إذ يقول أنها ((الوسيلة المثلى لفكرة تبحث عن عرض الحقائق الوطنية المحلية، لإدراك القلق والهم الجماعيين خلال الفترة الاستعمارية للجزائر))[23]، وبذلك كان محمد ديب واحدا من الجزائريين المناضلين، انضمّ إلى الحركة الوطنية من خلال كتاباته المندّدة بالاستعمار والرافضة لوجوده بالجزائر ولسياسته الإجرامية تجاه الشعب الجزائري.

تعدّ كتابات محمد ديب من خلال المواضيع التي سخّر قلمه من أجل التعبير عنها حلاّ للإشكالية العالقة من حيث اعتبار الأدب الجزائري الذي كتبه أدباء جزائريون بلغة فرنسية أدبا فرنسيا[24] انطلاقا من اللغة، إذ يقول محمد ديب ببساطة أنّ كتاباته فرنسية ((من حيث اللغة فقط، في حين أنّ الثقافة التي صقل عليها وترعرع في أحضانها هي ثقافة مغربية خالصة))[25]. بينما تبقى هذه اللغة مجرّد وسيلة تساعد على إغناء اللغة العربية حسب جون ديجو، الذي يقول: ((فيما يتعلق بمحمد ديب، فإن اللغة الفرنسية ليست تهديدا للثقافة العربية، ولكنها انحراف لإغناء هذه الثقافة من خلال معرفة تدفع اللغة العربية أكثر فأكثر فاللغة الفرنسية ليست سوى منشط لها))[26] وبهذا تعدّ ((اللغة الفرنسية لغة للكتابة عند محمد ديب، أما العربية فهي التي تغذّي خيالات كتاباته))[27]، وهو ما سمح باعتباره ((كاتبا جزائريا لأنه على اتصال أكيد مع أبناء جلدته))[28]، يعبرّ عن قضاياهم وينبع في أفكاره ومخيلّته من انتمائه المغربي العربي.

كانت كتابة **محمد ديب** باللغة الفرنسية – في البداية- لا تشكل له أيّة عقدة، حيث يرى فيها الناقل المثالي لفكر يبحث من خلال الواقع المحلي الالتحاق بالاهتمامات العالمية لعصره، كما أنّ الفرنسية هي التي ضمنت له جمهورا من القرّاء. ولكن وبعد مدة من الإبداع والإصدارات الأدبية باللغة الفرنسية، تغيّرت رؤية **ديب** إلى اللغة التي يكتب بها. إذ بدأ يشعر بأنها أصل الاغتراب والمنفى، حيث صرّح سنة 1993: ((أنّ رغبة التجذّر في عالم غير عالمك تتكسر أمام عدم تمكّنك أبدا من لقاء مجتمع. يجب الاعتراف بما هو بديهي: ستبقى دائما جزءا من أولئك المهاجرين البوهيميين الذين نصبوا خيامهم على مشارف مدينة، فإذا هم متهمون بسرقة دجاج السكان الأصليين))[29]، فهو مهما كتب بلغة الآخر، مهما أتقنها وأبدع فيها، إلا أنه سيظل بالنسبة إلى أهلها غريبا، يعيش في مجتمع غير مجتمعه، ويكتب بلغة غير لغته، إذ ظلّت الفرنسية تمثل له لغة متبناة، أمّا كتاباته وحديثه بالفرنسية، فإنه يشعر بأنهما مركبّان بطريقة مجعّدة غير قومية بالنسبة للّغة الأم[30] وهو يعتبر الفرنسية ((الوسيلة التي تمكّنه من أن يكون أو لا يكون، فهي ليست المعرفة ولكن دونها لا توجد معرفة، هي ليست وسيلة للتواصل، ولكن دونها لا يوجد تواصل، هي

ليست الشعر ولكن دونها لا يوجد شعر، هي ليست الحياة ولكن دونها لا ننجح في حياتنا، وحياة لا ننجح فيها بمقدار نجاحنا في حياة نتقن فيها لغتنا))[31]. فاللغة الفرنسية بالنسبة لمحمد ديب هي ليست كلّ شيء، ولكن دونها لا يوجد شيء بمعنى أنّها مجرد وسيلة للحياة، دون أن تعني له في دواخله شعورا مقدّسا يعتز به ويكنّ له الحب والامتنان، لاسيما وأن مساءلاته اللغوية قد كثرت في أعماله الأخيرة وحواراته الأدبية، بين لغة أمٍّ يجهلها، بسبب أهل اللغة التي يتقنها، فأين هو من هذه المفارقات؟.

3. المصادر الأجنبية في كتابات محمد ديب:

يعدّ استعمار فرنسا للجزائر من أهم السبل التي أدت إلى احتكاك الشعبين، وتعرّف الواحد منهما على الآخر من حيث عاداته وتقاليده، وكذا ثقافته وآدابه، وقد كان تأثير الاستعمار كبيرا وقويا على الجزائريين بسبب السياسة الاستعمارية المنتهجة، التي ركزّت على محو العناصر الثقافية الجزائرية، وإحلال محلها ثقافة فرنسية خالصة، ويتجلّى ذلك من خلال التعليم الذي كان فرنسيا محضا في جلّ مراحله، أُرغِم الجزائريون عليه، فكان المثقفون الجزائريون–على الأغلب– من أبناء المدرسة الفرنسية.

كوّنت المدرسة الفرنسية أجيالا متشبّعة باللغة الفرنسية، التي أتقنوها وتفوّقوا فيها بفعل الحرص الشديد من طرف السلطات الفرنسية عليها، وكان الأدباء الفرنسيون بإنتاجاتهم الإبداعية وروائعهم الشعرية، أهمّ ما يدّرس للتلاميذ آنذاك، ممّا سمح لهم بالتعرّف على الأدب الفرنسي عامة، يقول محمد ديب عن ذلك، وهو أحد خريجي المدرسة الفرنسية: ((فكان اكتشاف الأدب، أوّلا عن طريق القطع المختارة في الكتب المدرسية، لأنني مثل جميع الجزائريين الذين تعلّموا، فقد كانت دراستي في المدرسة الإعدادية باللغة الفرنسية، ثم بين الرابعة والخامسة عشر، كان اكتشاف الكتاب الفرنسيين والأجانب))[32]، وبذلك فإن المدرسة الفرنسية هي أول فضاء اكتشف من خلاله محمد ديب الفرنسيين وآدابهم، وكان من بين الشعراء المفضلين لديه **ملارميه**[33] و**فاليري**[34]، ومنهما استقى أسلوبا نقيًّا[35] ميّز شعره ونثره أيضا.

وُجِد فضاء آخر– إلى جانب المدرسة الفرنسية– مكّن الأدباء الجزائريين من الاستفادة من الأدب الفرنسي وتقنيات الكتابة الأوربية، تمثّل في مدرسة الجزائر التي سمحت بتشكيل صداقات حميمة بين الأدباء، إذ كانت تجمعهم زمالة في العمل وكانت لهم لقاءات ومناقشات أدبية[36] ، يقول عن ذلك مولود فرعون: ((لقد كان "كامي" و"روبلس" وغيرهم أول من فتح لنا أفقا أدبيا كان مغلقا، وذلك بمواهبهم الأدبية))[37]، ممّا جعل أعمال محمد ديب وغيره من الأدباء الجزائريين، لا تختلف كثيرا عن تلك التي كان يبدعها ألبير كامي ورفاقه لاسيما من حيث الشكل، إذ وجّهوا أنظار الجزائريين إلى الأدب الفرنسي، واطلّع محمد ديب على مؤلفات الأدباء الكلاسيكيين[38]، وهو ما يفسر عدم اختلاف أعمالهم كثيرا عن((الروايات الفرنسية في القرن التاسع عشر19م، حيث جاءت الحكايات مرتبة تاريخيا وموجزة الأحداث والشخصيات محتملة، وتنظيم الفضاء والزمان وظيفيان))[39]، وهي ميزة الكتابات الأوروبية الكلاسيكية عامة.

ويعدّ تأثر محمد ديب بالروائية البريطانية **فرجينيا وولف**[40] **verginia woolf** واضحا، إذ كان دائم الإعجاب بأعمالها لاسيما: الأمواج the waves وإلى المنارة to the ligh house، ووسيلة تيار الوعي لهذه الكاتبة هي التي تركت صداها العميق في رواية قصة الملك لمحمد ديب[41]، حيث تأثّرت هي الأخرى[42] في هذه التقنية بجيمس جويس .

وبعد الحرب العالمية الثانية، اكتشف محمد ديب رفقة زملائه (من مدرسة الجزائر) الرواية الأمريكية، ممثلة في أعمال **فولكنر Faulkner** (1897– 1962) ، **ودوس باسوس Dos Passos** (1896–1970)[43] وقد شُبّهت ثلاثية محمد ديب الأولى كثيرا بثلاثية هذا الأخير، وإن كان ينفي أيّة تأثّير مقصود عن هذا العمل، حتىّ أنّه أكّد على جهله لهذا الروائي الأمريكي[44] و أنه لم يسمع بعمله قط.

تجاوز محمد ديب أسلوب فرجينيا وولف الذي رافقه في بداية أعماله، باكتشافه للروائيين الأمريكيين، إذ وجد عندهم ذروة الصورة والحسّ المتحرّر من التحليل المنطقي المألوف عند فرجينيا وولف[45]، ومن هؤلاء: **ستانباك** Steinbeck [46] **همنغواي**[47] Hemingway **كالدويل**[48] **Caldwell**، **ميلي**[49] **Miller** وكتب عنهم في مقالة: القصة في الأدب اليانكي[50]، التي نشرها في مجلة فورج.

وقد تأثر محمد ديب أيضا بالروائيين السوفييت، وبالأعمال الإيطالية المترجمة إلى الفرنسية ((حيث وجد لدى الإيطاليين أصوات فلاحين بطيئة، خطيرة و مثابرة ولكن أيضا مهتزة وتنبع بشاعرية وجدانية، عند **إنيازيو سلون Ignazio Silone** **وإيليو فيتوريني** Elio Vittorini، أديبان متحدّان ضدّ الفاشية التي قادها موسولوني الدكتاتوري في إيطاليا، وضد الاستعمار أياً كانت توجّهاته))[51]. وقد نُسبت بعض التأثيرات لمحمد ديب، نظرا للتقارب الموجود بين أعماله وأعمال أدبية أجنبية، حيث شُبّه أسلوب قصّة "**الوارث المسحور L'Héritier Enchanté**" بأسلوب **أدجار ألن بو**[52] في مجموعته القصصية "حكايات غريبة Tales of grotesque and "arabesque. غير أنّ هذا التقارب لا يعدو كَوْنه مجرد صدفة؛ ذلك لأن **ديب**[53] يقول أن **بوُ** لم يكن في خاطره مطلقا عندما كتب قصته المذكورة.

خاتمـــــــــة:

مهما يقال عن التأثيرات الأدبية بين محمد ديب والأدباء الأجانب، إلاّ أنها واردة لا محالة في أعماله، سواء أكان متعمّدا أو من قبيل الصدفة بحكم علاقته بغيره، سيما وأنه احتكّ بالأجنبي من خلال تعلّم لغته والاطلاع على آدابه، والاحتكاك به من خلال استعمار الفرنسي لأرضه، وهجرته إليه ومعرفته العميقة به.

ومادام الإنسان يعيش ويتّصل ويحتك بالآخر، فإن بروز التأثيرات في كتاباته الأدبية لا إشكال فيه، إذ يعد ذلك من النتائج المثمرة عن تزاوج الثقافات واحتكاك الشعوب وتبادل المعارف وإغناء الذات من أجل البحث عن السمو والرقي بها إلى ما هو أفضل.

الإحالات والهوامش:

[1] يوسف الأطرش، المنظور الروائي عند محمد ديب، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، 2004، ص ص 59،60 .

[2] Jean Dejeux; Mohamed Dib bio-bibliographie; Hommage à Mohamed Dib; kalim N° 06 ; Office des Publications universitaires; Alger;1985; p 239

[3] يوسف الأطرش، المنظور الروائي عند محمد ديب ، ص 60.

[4] Voir: Naget khadda; Mohamed Dib cette intempestive voix recluse; EDISUD; Provence ; 2003; p13.

[5] Jean Dejeux; Mohamed Dib bio-bibliographie; p 240.

[6] وتسمى " مدرسة شمال إفريقيا للأدب"- حسب ألبير كامو-، وهي حركة أدبية تأسست في الجزائر في عقد الثلاثينات وجّه المستوطنون الفرنسيون اليساريون مسارها، تميزت بالتركيز على مواضيع البحر والشمس والحياة في المدن الساحلية تحمل أفكارا تدعو ظاهريا إلى تقارب الشعوب وتتخطى الحدود القومية الضيقة إلى الانفتاح على كل سكان المتوسط، ولكن سرعان ما ظهرت بوجهها الحقيقي وبمطالبها التسلطية المركزية الأوربية، من خلال محاولة بعث القيم الروحية والفكرية اليونانية والرومانية، متجاهلة تماما بقية الحضارات المتوسطية .

ينظر: أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 144 وما بعدها.

[7] ينظر : المرجع نفسه ، ص 154.

[8] Voir: Jean Dejeux; Mohamed Dib bio-bibliographie; bio-bibliographie; p p 240, 241

[9] الحزب الشيوعي الجزائري : تأسس سنة 1931، بدعم من الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي كان يستمد مبادئه منه أعلن الحزب سنة 1942 عن العمل من أجل تكوين إتحاد عام بين الشعبين الجزائري والفرنسي، من أجل محاربة الفاشية وإقامة جزائر حرة، عرف الحزب دخول العديد من العناصر الجزائرية المسلمة بعد الحرب العالمية الثانية، وسرعان ما تمّ اكتشاف نواياه الحقيقية من رفض للغة العربية والإسلام، والدعوة إلى إلحاق الجزائر بالاتحاد الفرنسي، وهو ما جعل العديد من الأعضاء الجزائريين ينسحبون ويعبرون عن رفضهم للمستعمر الفرنسي عامة . ينظر: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر ، من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط2، 2005، ص 280 وما بعدها.

[10] Naget khadda, Mohamed Dib cette intempestive voix recluse, p13.

[11] أحمد سيد محمد، الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب " محمد ديب ، نجيب محفوظ"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص ص 92، 108.

[12] Voir: Jean Dejeux; Mohamed Dib bio- bibliographie; p 244.

[13] Voir:Jean Dejeux; Mohamed Dib, bio-bibliographie p 245

[14] محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 119.

[15] Voir: Jean Dejeux; Mohamed Dib bio-bibliographie; p 245.

[16] Ibid; p 255.

[17] تعني الفرانكوفونية الدول والشعوب الناطقة بالفرنسية دون الشعب الفرنسي، أي الشعوب التي كانت مستعمرة وتحت هيمنة الدولة الفرنسية، ولم تكن العلاقة بين هذه الشعوب واللغة الفرنسية علاقة اختيارية، بل فُرضت هذه العلاقة، كحالة للإرث الاستعماري المتجدّد. وقد نتجت عن هذه الهيمنة الاستعمارية فئة مثقفة تكتب بالفرنسية وتتكلّم بها، وهي فئة الأدباء الذين عبروا بهذه اللغة كوسيلة وحيدة لا سبيل إلى الاستغناء عنها. وتعدّ الجزائر واحدة من تلك المستعمرات، أنتجت أدباء جزائريين باللغة الفرنسية كغنيمة حرب. ومن الأدباء الجزائريين الذين راجت أعمالهم الأدبية فترة استعمار فرنسا للجزائر، مولود فرعون، بروايات (ابن الفقير 1950، الأرض والدم 1953)، مولود معمري بروايات (الهضبة المنسية 1952، إغفاء العادل1955 والأفيون والعصا 1965)، كاتب ياسين من خلال رواية(نجمة1956)، ومالك حداد(بروايات الانطباع الأخير 1958، سأهبك غزالة 1959، التلميذ والدرس 1960، رصيف الأزهار لا يجيب 1961)، آسيا جبار ب(أطفال العالم الجديد 1962)، مراد بوربون برواية (المؤذن 1968) ، رشيد بوجدرة بروايات (التطليق 1969، وضربة شمس 1972)، نبيل فارس ب(موت صالح باي 1980)، وغيرهم كثير ممّن اتخذ اللغة الفرنسية وسيلة للتعبير الأدبي. فمنهم من كان مضطرا لاعتماد هذه الوسيلة لعدم امتلاكه لغيرها، ومنهم ممّن كان يكتب بالفرنسية كنتيجة لمحاولة اللّحاق بالركب الحضاري العالمي من الأدباء الذين

ظهروا بعد الاستقلال أمثال رشيد ميموني ب (النهر المحوّل 1982، طمبيزا)، والطاهر جاووت ب (الباحثون عن العظام، اختراع الصحراء). وياسمينة خضرا ب (بما تحلم الذئاب؟). ينظر: أحمد منور؛ الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 94 وما بعدها. عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925- 1967، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982

عبد القادر توزان، الجزائر في أدب البيركامو، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد، 1405هـ- 1985م، ص 32 .

[18] Voir: Gétarni Mohamed; Littérature de combat chez Dib, Kateb, Feraoun; Dar El- Gharb; Oran; P 22.

[19] Mohamed Dib, L'Arbre à dires, Dahleb; Alger; 2009; p 192.

[20] Jean De jeux, Situation de la littérature maghrébine de langue française, approche historique, approche critique; bibliographie méthodique des œuvres magrébines defiction1920-1978 Edition Alger; 1982; p 80

[21] L'Afrique littéraire et artistique; n^{0} 18; Aout 1971.

[22] Mohamed Dib; L'Arbre à dires ; p193

[23] Jean Dejeux; Situation de la littérature maghrébine de langue française; p 92, 93

[24]اعتبر بعضُ الناقدين الأدبَ الجزائري المكتوب بالفرنسية أدبا فرنسيا لأدباء جزائريين، ومنهم من اعتبره أدبا جزائريا بتعبير فرنسي، وقد ذهب الفريق الأول إلى قضية اللغة كمحك أساسي يحمل روح الشعب والحضارة التي ينتمي إليهما الفرد والأمة، كما هو الحال عن عبد الله خليفة الركيبي، وأنها أداة سابقة الصنع محمّلة سلفا بإيحاءات اجتماعية وسياسية وتاريخية وحضارية، وقد مكنت هذه اللغة المعتمدة في الكتابات الأدبية من كون هذه الأخيرة تقارب إلى حدّ كبير كتابات الأدباء الفرنسيين بالجزائر، وهو ما زاد من حدّة الإشكالية. إلى جانب المأساة التي تشعر بها الأدباء أنفسهم لكتابتهم بهذه اللغة، كما هو الحال بالنسبة لمالك حداد الذي بلغ شعوره بالاغتراب في ظل اللغة التي كتب بها أوجّه بعد الاستقلال، هذه الغربة والحسرة، اتخذها الدارسون ذريعة للحكم على فرنسية هذا الأدب، إذ كان رأي عبد الملك مرتاض واضحا في عدم تقبّله لهذا الأدب، مع مغالاة هؤلاء الدارسين، ظهر فريق آخر اعتمد المواضيع المعبر عنه كوسيلة للحكم على جزائرية الأدب وعلى هويّة الأدباء الذين كتبوه؛ إذ عبّر هذا الأدب عن قضايا قومية تنبع من صميم الشعب الجزائري المجروح في بلده وفي أرضه، وصرّح الأدباء بأن استعمالهم للغة الفرنسية لا يعدو كونها وسيلة تشبه استعمال الرسام لألوان صنعت في فرنسا أو أية دولة أجنبية- وحتى مالك حداد يبرّر جزائرية هذا الأدب انطلاقا من جزائرية أصحابه والروح التي كُتب بها وبالتالي فإن هذا الأدب جزائريّ الروح والمضامين وما اللغة الفرنسية إلاّ وسيلة اعتُمدت للتعبير عن قضايا لا مناص من تجاهلها في وقت حُرم فيه أهل العربية من تعلّم لغتهم وتسخيرها للدفاع عن حقوقهم.

ينظر: نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين- بيروت، ص 277.

ينظر:عبد الله خليفة الركيبي، القصة الجزائرية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ط3، 1977، ص 241.

[25] Jean De jeux, situation de la littérature maghrébine de langue française, p 81.

[26] Ibib; p 93.

[27] Rachida Saïgh Bousta; Lecture picturale de la fiction dibienne par Mohamed Nabili; Horizons maghrébins, le droit à la mémoire; centre d'Initiatives artistiques de L'université de Toulouse- de Mirail; 1999;p 84.

[28] Fouzia Sari- Mostefa Kara; Mohammed Dib et la révélation Algérienne; Hommage à Mohamed Dib; kalim N° 06 ; p 137.

[29]أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، تصريح محمد ديب في أسبوعية Ruptures الجزائرية 1993/02/16 ص 163،

[30] Mohammed Dib; L'arbre à dires; p p 47, 48

[31] Ibid; p p 42,43

[32]عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 78.

[33] ملارميه، ستيفان: (1842، 1889) شاعر وناقد فرنسي، ولد بباريس، اشتهر بقصيدته الحالمة الظهيرة في فاون التي ألفها سنة 1876، عدّه الأدباء من جيل الشباب ورائد النظرية الشعرية، أصبح زعيما لحركة أدبية تسمى الرمزية.

[34] فاليري جول: (1871-1945) شاعر فرنسي كتب قصيدتين مشهورتين هما: القدر الأصغر(1917)، المقبرة البحرية (1920)، كما كتب مجموعة قصائد قصيرة؛ الساحرة (1922)، كانت معظم أعماله الواقعية متطابقة مع الوضع السائد في نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، إذ أنه عن طريق معرفة الإنسان لنفسه، يمكنه أن يفهم عقلية العالم.

[35] ينظر: عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 78.

[36]ينظر: أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 154.

[37]عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص ص 57، 58.

[38] الأدباء الكلاسيكيون أمثال: لافونتان La Fontaine، موليار Molière، راسين Racine، بوالو Boileau، بوسيه Boussuet، لابرير La Bruyére ، وفي القرن التاسع عشر نجد: فيكتور هيغو، ألفرد دي موسيه، ستندال، بلزاك، إميل زولا وغيرهم.

[39] Naget Khadda; Mohammed Dib cette intempestive voix recluse; P22.

[40]فرجينيا وولف(1882- 1941) تعدّ علامة من العلامات الأساسية في الرواية الأوربية المعاصرة، قاطعت الرواية المألوفة مقاطعة تامة، وتهدف إلى تبيين أن الرواية لا تمتلك بل تستطيع أن تعطي نفسها الحق في القدرة على تقديم صورة كاملة أو حتى شبه كاملة عن الواقع. ينظر: الصادق قسومة، الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000، ص 65، وأيضا محمد شاهين، آفاق الرواية (البنية والمؤثرات)- من منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 6

[41]ينظر: عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 78.

[42]جيمس جويس (1882- 1941) روائي إيرلندي، أحدث ثورة في معالجة الحبكة الروائية، وابتكار أدوار الشخصيات في الأدب القصصي الخيالي، ابتكر أسلوب وفن المناجاة الداخلية وتيار الوعي (ينظر: الصادق قسومة، الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث، ص65.)

[43] Jacqueline Arnaud; La littérature maghrébine de langue française; tome1, Origines et perspectives; Publisud; 1986; p164.

[44]ينظر: عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 77.

[45]ينظر: يوسف الأطرش، المنظور الروائي عند محمد ديب، ص 236.

[46]**ستانباك جون** (1902- 1986) كاتب أمريكي، رواياته الواقعية النقدية تصور الأوساط الشعبية في كاليفورنيا، مثل (ابتسامات ورجال)1937، تحصل على جائزة نوبل سنة 1962.

[47]**همنغواي ارنست** (1899- 1961) كاتب أمريكي، روائي وقاص وشاعر وصحفي، من كتاباته (الشمس تهيج أيضا) 1926، (الوداع للأسلحة) 1929، (الشيخ والبحر) 1952.

[48]**كالدويل ارسكين** (1903- 1987) كاتب أمريكي، رواياته تقدم صورة واقعية للأقليات البيض في جنوب الولايات المتحدة من رواياته (الطريق إلى التبغ la route au tabac)

[49]**ميلي هنري**: (1891-1980) كاتب أمريكي، قصصه تكشف في الصعوبات الاجتماعية والنفسية، وتمجد البحث عن الفرح الإنساني، من أعماله (مدار السرطان، مدار الجدي) Le Petit Larousse ; Dictionnaire multimédia; 2006

[50] Jacqueline Arnaud, la littérature maghrébine de langue française, p 164

[51] Charles BONN; Lecteur Présente de Mohammed Dib; Entreprise nationale du livre; Alger; 1988; p 35

[52] أدجار ألن بو: شاعر وكاتب أمريكي للقصة القصيرة، وناقد أدبي، كان يكتب شعرا يسوده جو من الحزن والرعب يتميز بالحرص التام على إتباع الوزن والإيقاع الشعري، من قصائده: الغراب الأسحم 1845، آنابل لي 1849

[53] ينظر: عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 77

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد سيد محمد، الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب " محمد ديب ، نجيب محفوظ"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
2. أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي- نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007
3. الصادق قسومة، الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000.
4. عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925- 1967، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
5. عبد القادر توزان، الجزائر في أدب البيركامو، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد، 1405هـ- 1985م.
6. عبد الله خليفة الركيبي، القصة الجزائرية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ط3، 1977.
7. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر ، من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط2، 2005.
8. محمد شاهين، آفاق الرواية (البنية والمؤثرات)- من منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001،
9. محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996
10. نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين- بيروت.
11. يوسف الأطرش، المنظور الروائي عند محمد ديب، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، 2004.
12. Charles BONN; Lecteur Présente de Mohammed Dib; Entreprise nationale du livre; Alger; 1988.
13. Fouzia Sari- Mostefa Kara; Mohammed Dib et la révélation Algérienne; Hommage à Mohamed Dib; kalim N° 06 .
14. Gétarni Mohamed; Littérature de combat chez Dib, Kateb, Feraoun; Dar El- Gharb; Oran.
15. Jacqueline Arnaud; La littérature maghrébine de langue française; tome1, Origines et perspectives; Publisud; 1986.
16. Jean De jeux, Situation de la littérature maghrébine de langue française, approche historique, approche critique; bibliographie méthodique des œuvres magrébines defiction1920-1978 Edition Alger; 1982.
17. Jean Dejeux; Mohamed Dib bio-bibliographie; Hommage à Mohamed Dib; kalim N° 06 ; Office des Publications universitaires; Alger.
18. L'Afrique littéraire et artistique; n^0 18; Aout 1971
19. Mohamed Dib, L'Arbre à dires, Dahleb; Alger; 2009.
20. Naget khadda; Mohamed Dib cette intempestive voix recluse; EDISUD; Provence .
21. Rachida Saïgh Bousta; Lecture picturale de la fiction dibienne par Mohamed Nabili; Horizons maghrébins, le droit à la mémoire; centre d'Initiatives artistiques de L'université de Toulouse- de Mirail; 1999.